اتفاقات البحر المتوسط (فبراير - ديسمبر ١٨٨٧)

للدكتور حسن محمد صبحي

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

تمتاز الربع الأخير من القرن التاسع عشر بمحاولة بريطانيا لانهاء «عزلتها» ، وذلك حينما بدأوا يشكون فى انجلترا — فى الثمانينات والتسعينات — فى جدوى سياسة العزلة هذه . فالتوسع الاستعمارى فى افريقية وفى الشرق الأقصى قد أدى إلى نزاع مع فرنسا وألمانيا والروسيا . وهذا أوضح لانجلترا انها لم تعد تتمتع باحتكار فى ميدان التوسع الاستعمارى . والتعاون الفرنسى الألمانى فى عامى ١٨٨٣ ، ١٨٨٤ قد ساعد هاتين الدولتين على ارساء قواعد لامبراطوريات افريقية دون أن يسألا انجلترا موافقة على ذلك . كذلك كانوا يخشون فى انجلترا أن يتوصل منافسوها إلى انهاء خلافاتهم وتكوين تكتل فى القارة الأوروبية . وإذا تمكن منافسوها من عزلها فقد يتمكنون حينئذ من الضغط عليها فى جنوب افريقية ومصر ومضايقتها هناك (١) .

وفى غمار هذا الاتجاه الجديد لبريطانيا تجىء هذه الاتفاقات المعروفة باسم اتفاقات البحر المتوسط (١٨٨٧) . ولكن هذه الاتفاقات لم تكن وليدة الرغبة الانجليزية الجديدة فقط ، بل جاءت أيضاً نتيجة لأحداث الفترة ، ومطامع ايطاليا فى شمال افريقية ومخاوفها ازاء فرنسا فى نفس الوقت . ومخاوف النمسا من أن تتورط وحدها فى حرب ضد فرنسا بسبب ايطاليا . وفوق كل شىء ، جاءت هذه الاتفاقات نتيجة أيضاً لمباركة بسمرك لكل هذه الاتجاهات ...

---

1. Bruce, The Shaping Of The Modern World 1870—1939. Vol. I. p. 886.

فيما يتعلق ببريطانيا نجد أن أولى مشاكلها — بالنسبة للسياسة الخارجية — كانت تكمن حينئذ فى البحر المتوسط . هكذا كان الحال حينما تولى سولسبرى رئاسة الوزارة البريطانية فى أغسطس ١٨٨٦ . فى ذلك الوقت كانت تواجه بريطانيا مشكلتان رئيسيتان : الأزمة البلغارية ، والمسألة المصرية . ففيما يتعلق بالمشكلة الأولى قامت حركة فى بلغاريا فى سبتمبر ١٨٨٥ لضم روميليا الشرقية إلى بلغاريا . وبذلك فاجأت بلغاريا العالم بالأمر الواقع ، وضربت بقرارات برلين (١٨٧٨) عرض الحائط ، وبينت زيف الادعاء بأنها مجرد تابعة للروسيا (١) . ومن المعروف ان لورد بيكونزفيلد Beaconsfield قد فرض فصل الولايتين ، ضد رغبة الروسيا ، عام ١٨٧٨ . ولكن الروسيا صارت تعارض الآن الوحدة بنفس اصرارها السابق على نفس الوحدة ، فالحزب المسيطر فى بلغاريا ذو ميول معارضة للاتجاه الروسى . وقد كان سولسبرى — أول الأمر — يميل إلى أن يلتزم بسياسة لورد بيكونزفيلد . ولكن الملكة فيكتوريا ، وسير ويليام هوايت William White السفير الانجليزى فى القسطنطينية — قد اقنعاه بأن يتبع فى هذه المسألة سياسة مغايرة لسياسة بيكونزفيلد . وفى تلك السياسة تبعت النمسا والمجر انجلترا . وهكذا كان على بريطانيا أن تعمل على تعضيد استقلال بلغاريا ابعاداً للنفوذ الروسى عن القسطنطينية (٢) .

وقد كان هناك البعض — مثل لورد راندولف تشرشل وسير روبرت موريه Robert Morier — سفير بريطانيا فى بطرسبرج — ممن كانوا يرون ان تكف بريطانيا عن الوقوف فى وجه الروسيا وأن تصل إلى اتفاق مع القيصر الروسى ، الذى سوف يقابل مجاملة بريطانيا له فى الشرق الأدنى بأن يكف عن تهديده لأواسط آسيا . ولكن سولسبرى كانت له وجهة نظر مغايرة . فهو إذا نظر قدما إلى السلام اعتبر الروسيا وفرنسا دولتين

---

1. Lowe, Salisbury and The Mediterranean 1886-1896. pp. 2 — 3.
2. Ensor, England 1870-1914. p.195.

ذات ميول عدوانية (١) . فمنذ عام ١٨٧٩ تتبع فرنسا سياسة عنيفة فى توسعاتها فيما وراء البحار . ومنذ عام ١٨٨٢ وهى تشهر السكين فى كل مكان فى وجه بريطانيا وتقيم العقبات القوية فى وجه السياسة الاستعمارية الانجليزية ، وفى سبيل ذلك تلجأ راضية إلى ألمانيا ، عدوتها التقليدية . تثيرها ضد انجلترا وترسم لها سوء نواياها (٢) . وانجلترا كانت تخشى التوسع الفرنسى فى شمال افريقية ، ورجال بحريتها كانوا يخشون من اتخاذ فرنسا قاعدة بحرية فى سبته بالمغرب (٣) . ولا شك ان السياسة الخارجية للدولة تتأثر عادة بآراء خبرائها العسكريين (٤) . وفى خلال أعوام ١٨٨٧ — ١٨٨٩ تنتاب فرنسا حمى الوطنية المزعجة التى اثارها الجنرال بولانجيه Boulanger. وبشكل عام أصبحت العلاقة بين فرنسا وانجلترا ، كما قال روزبرى (٥) فى عام ١٨٨٦ ، تسبب كثيراً من المضايقة للانجليز . ففرنسا تطلب من انجلترا شيئا ما لا تستطيع اعطاءه لها ابداً ثم تشكو قائلة «انكم لا تعملون شيئا مطلقاً من أجلنا» (٦) . وبالنسبة لسولسبرى ، فان فرنسا — كما يقول سولسبرى فى فبراير ١٨٨٧ — ترتكب طائفة من «المزعجات» . ففى مراكش مثلا «تسير فرنسا فى طريق ابتلاع البلاد قطعة فقطعة وتتطلع إلى احتلال طنجة» (٧). ويبلغ الضيق بسولسبرى أشده حتى يذكر أنه من الصعب على المرء أن يمنع نفسه من أن يتمنى حرباً فرنسية المانية أخرى لتضع حداً لهذا الجور المستمر (٨) .

---

(١) Ensor, England. p. 197.

(٢) صفوت : الاحتلال الإنجليزى لمصر. ص ٧٦/٧٧.

(٣) Marder, A., British Naval Policy, p. 271.

(٤) أنظر أيضا : حسن صبحى ، التنافس الاستعمارى الأوربى فى المغرب ص ٦٧—٦٩ ، ص ٧٧ .

(٥) وزير خارجية انجلترا (١٨٨٦) .

(٦) روزبرى الى السفير الانجليزى فى باريس — ١٠ أغسطس ١٨٨٦ — أنظر :
Wilson, Beckles, L'Ambassade d'Angleterre A paris, p. 229.

(٧) أنظر سولسبرى الى لونز (السفير الانجليزى فى باريس) ٥ فبراير ١٨٨٧ . المرجع السابق ص ٢٢٧ .

(٨) صبحى ، ص ٦٨

أما أطماع الروسيا فقد ظهرت فى بنجه Pendjeh فى أوائل عام ١٨٨٥ حينما هاجمت قوة روسية أخرى أفغانية وهزمتها هناك فى ٣٠ مارس ١٨٨٥ وهذه منطقة خصبة على الحدود الأفغانية — التركمانية . وكان ذلك الحدث منبهاً قوياً للخطر الذى يهدد انجلترا فى الهند من الناحية الشمالية الغربية . حينئذ بدت الدولتان — لبضعة أسابيع — على شفا الحرب. كذلك فى أواخر العام تظهر أطماع الروسيا القلقة حينما هددت صوفيا .

هذه كانت من الدواعى التى أدت بالبريطانيين إلى الاتجاه إلى دول الحلف الثلاثى ، ولا سيما وان انجلترا قد باتت مهددة بأن تقف وحدها فى المسألة المصرية . وهذه — أى المسألة المصرية — كانت المشكلة الثانية التى تجابه بريطانيا حينئذ فى البحر المتوسط . فكان على بريطانيا أن تجابه مشكلة مباشرتها للأمور المصرية مع التخلص من العداء الفرنسى لها هناك . وتتجنب — فى نفس الوقت — اتجاهات بسمرك التى تميل إلى مناقشة حق الانجليز فى مصر إذا ماناقشوا حق ألمانيا فى الاستعمار (١) .

ومن المعروف ان سولسبرى كان له رأيه الخاص فى الدولة العثمانية ومصيرها . فهو كان يبدو عديم الثقة بها ، ميالا إلى تقسيمها ولا يرى هناك داعياً لبقائها . وهو لذلك يهتم بالمحافظة على المصالح الانجليزية لا بحماية تركيا من الخطر الروسى . (٢) وقد وضح اتجاه سولسبرى هذا تماماً حينما زاد تعقد المسألة الشرقية فى السبعينات وحينما خلف سولسبرى دارنى فى وزارة الخارجية البريطانية (مارس ١٨٧٨)، فحينئذ بدا أن سياسة سولسبرى بخصوص الدولة العثمانية كانت أبعد ما تكون عن تأييد تلك الدولة أو المحافظة عليها . وكان ذلك انعكاساً لشكه فيما إذا كانت تركيا حقيقة جديرة بالدعم من جانب بريطانيا (٣) . صحيح انه لم يفقد حينئذ الأمل نهائياً

---

(١) Lowe, pp. 2—3.

أنظر كذلك : صفوت : الاحتلال الانجليزى لمصر . ص ١٤٢ .

(٢) صفوت : نفس المرجع . ص ١٢٨—١٢٩

(٣) Ensor, p. 197

فى اصلاح الأحوال فى تركيا . ولكنه كان يرى ان الامبراطورية العثمانية قد دب فيها الفساد والعفن إلى حد كبير ، وانها تسير حتما إلى النهاية . وكان يعتقد بجدوى تأجيل سقوط الامبراطورية العثمانية — بالنسبة لانجلترا — حتى قيام الثورة فى الروسيا . وانه من مصلحة انجلترا تأجيل حدوث هذه الكارثة . (١) أما السياسة العملية فى نظره فهى الاشراف الفعلى على طرق المواصلات المائية إلى الهند . وذلك باحتلال مصر وقناة السويس وكريت والعمل على القضاء على الدولة العثمانية (٢) .

واستولت بريطانيا على قبرص (١٨٧٨) ، ومصر (١٨٨٢) ، واطمأنت على مركزها فى شرق البحر المتوسط وعلى طرق مواصلاتها البحرية إلى الهند . ومع ذلك فقد بقيت العقبة الفرنسية فى مصر من ناحية ، كما استمر الازعاج الروسى أو الخشوى لمبلقان من ناحية أخرى .

حينئذ رأى سولسبرى — وفيما يتعلق بالبحر المتوسط ، وكما قال هو هو نفسه فى عام ١٨٨٧ — انه لا خير لانجلترا فى أى تغيير ، وان من مصلحة انجلترا الا يحدث من التغيير الا أقله (٣) . ورأى سولسبرى أن تتبع حكومته — فى الأمور الداخلية كما فى الخارجية — السياسة التقليدية ، ودبلوماسية الصبر والاناة بالنسبة لكلى المشكلتين : فى مصر والبلقان (٤) .

ففى خريف عام ١٨٨٦ كان سولسبرى يريد مصالحة فرنسا بكلمات معسولة واشارات إلى الانسحاب من مصر ، بينما تجدد المباحثات مع الباب العالى حول هذا الموضوع ، وكانت قد قطعت عام ١٨٨٥ . يتضح ذلك تماماً فى مقابلة طويلة بين سولسبرى ووادنجتون — السفير الفرنسى فى لندن — خصصت كلها

---

(١) يظهر ذلك فى خطاب خاص له إلى Layard السفير البريطانى فى القسطنطينية. أنظر .
Medlicott, The Congress. Of Berlin And After p. 345.

(٢) سفوت : انجلترا وقناة السويس ص ٦٦

(٣) Lowe, p. 1.

(٤) Ibid. p.5.

لبحث المسألة المصرية . وفيها يتحدث سولسبرى حديثاً ودياً ولكن يشوبه الغموض . كما يقول واد نجتون ، ويذكر — أى سولسبرى — ان انجلترا وفرنسا سوف يصلان إلى اتفاق بشأن المشكلة المصرية ، وانه يمكنهما أن يتفقا حول ذلك الموضوع :

".... néamoins je suis persuadé que nous arriverons à une entente ..... La France et L'Angleterre auront pu se mettre d'accord ..." (1)

ومن العسير تفسير ذلك على أنه مقدمة لهذه الصفقة الانجليزية — الفرنسية التى عقدت فى ابريل عام ١٩٠٤ (الوفاق الودى) . وذلك لجملة اعتبارات لا تخفى على كل دارس للعلاقات بين انجلترا وألمانيا وفرنسا فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين . إنما يكل تأكيد يمكن اعتبار ذلك الحديث متفقاً مع رغبة سولسبرى فى مصالحة فرنسا بمجرد كلمات طيبة دون أدنى التزام من جانبه . فحينما يخبره وادنجتون بأنه لا يوجد أحد فى فرنسا يصدق ان الحكومة الانجليزية مخلصة حينما تؤكد رغبتها فى الاعداد للجلاء عن مصر . يكتفى سولسبرى بأن يصيح «انكم تخطئون جداً ..» (٢) ويؤكد ان انجلترا انما تسعى إلى الوسائل التى تخرج بها بشرف من مصر ، وان القوات الانجليزية فى مصر سوف تكون أكثر نفعاً فى الهند ، وان انجلترا مصممه على الجلاء عن مصر . ويتمادى سولسبرى فى تصوير مسألة الجلاء كأمر جدى تفكر فيه بريطانيا فيقول : اننا حينما نعلن ميعاداً لجلائنا فلسوف نطلب حينئذ من أوروبا تحديد فترة يكون لنا الحق ابانها فى الرجوع إلى مصر فى ظروف محددة . إذا نشأت فى مصر حالة جديدة وخطيرة من الفوضى ... . وحينما يسأله وادنجتون «وهل فاتحت الآخرين —

---

(١) من حديث سولسبرى إلى وادنجتون . أنظر :

Doc. Dip. Fr. 1ère S., T. VI, no. 342.,
(Waddington à Freycinet, 3 nov. 1886, Très confidentiel).

(٢) "On se trompe grandement chez vous, lorsqu'on croit que nous voulons rester indefiniment en Egypte ..." Ibid.

أى الدول الأخرى — بتلك الفكرة ؟ يجيب سولسبرى : « لا انك أول شخص اتحدث معه فى هذا الموضوع . » ثم يشير سولسبرى إلى « المصاعب البرلمانية » التى توجد فى انجلترا ، وكيف انهم فى انجلترا — كما فى فرنسا — يثورون بسهولة عند اثارة القضية المصرية (١) .

وبهذه الطريقة كان سولسبرى يظن انه من الممكن مصالحة فرنسا فى مصر . وكان ذلك بالنسبة له يبدو أمراً معقولا إذا كان عليه أن يقف فى وجه الروسيا فى نفس الوقت فى البلقان . وهو يقترح — وسيلة لذلك — التعاون مع النمسا فى سياسة ترمى إلى تعضيد الامير اسكندر فى بلغاريا . ولكن الوزارة رفضت كلى الاقتراحين . وكان تشرشل Randolphe Churchill وزير المالية وزعيم مجلس العموم — يعارض سياسة سولسبرى . (٢) كذلك حدث ما جعل سياسة سولسبرى — فيما يتعلق بالتعاون مع النمسا لصد الروسيا فى البلقان — لا تلقى نجاحاً يذكر . فبسمرك كان غاية فى الصراحة فيما يتعلق بذلك الأمر . وبين بوضوح انه لن يحرك اصبعاً من أجل الأمير اسكندر فى بلغاريا . وان بلغاريا وحتى القسطنطينية منطقة مصالح روسية لن يتدخل فيها أو يسمح للنمسا بالتدخل . واقترح بسمرك على بريطانيا — متهكماً — أن تستأجر تركيا إذا أرادت أن تعارض الروسيا فى البلقان . "Mit Geld laesst sich in der Tuerkei alles machen".(3) والنمسا من ناحية أخرى لم تبد تجاوباً مما جعل ادسلى Iddesleigh وزير الخارجية الانجليزية — لا يأمل الكثير منها فى تلك المسألة . فالروسيا كانت قد أكدت للنمسا انها لن تغزو بلغاريا (٤) .

ولكن بمجيء يناير عام ١٨٨٧ كان يبدو ان سولسبرى قد تخلص من بعض العقبات . فهو تخلص مثلا من تشرشل فى ديسمبر من العام

---

(١) Ibid.

(٢) Lowe, p. 5.

(٣) « بالمال يفعل المرء أى شىء فى تركيا » أنظر : Lowe, p. 7.

(٤) نفس المرجع والصفحة

السابق ، وبسمرك – وقد شغل بأمر مباحثاته مع النمسا وايطاليا بشأن تجديد الحلف الثلاثى – بدا أكثر استعداداً للتعاون مع انجلترا . وكانت النتيجة أن سولسبرى صار فى ذلك الوقت قادراً على اتباع سياسة يختارها ، هو ، وكان يرمى إلى عقد اتفاقية مع ايطاليا والنمسا لحماية الحالة الراهنة فى شرق المتوسط ، وإجراء مباحثات بشأن تحديد أجل الاحتلال الانجليزى لمصر وبذلك يصالح فرنسا ويرضيها . وكان ذلك يعنى الرجوع إلى سياسة القرم(١) ،الأمر الذى كان تشرشل يعارضه بشدة ، ولكن ذلك لم يكن يعنى أن سولسبرى كان يرى جدوى فى الجلاء عن مصر أو يفكر فى ذلك حقيقة .

نلحظ ان بسمرك أيضاً كان يعمل على ارجاع «تكتل القرم» بطريقته الخاصة ، ووضح ذلك فى مذكرة له فى نوفمبر ١٨٨٦ (٢) . فبينما كان سولسبرى يعمل على مصالحة فرنسا وايهامها بجدية التفكير الانجليزى فى الجلاء عن مصر ، كان بسمرك يعمل على التوسط بين انجلترا وفرنسا لمصالحتهما . وكان بسمرك يسعى إلى ذلك تقرباً من فرنسا التى أخذت تتأكد من نوايا بسمرك السلمية ، بل وفكرت فى تجديد وفاق فرى مع ألمانيا إذا ما ساعد بسمرك فرنسا ضد انجلترا فى مصر . ولما كان بسمرك لا يستطيع أن يفقد انجلترا من أجل فرنسا ، فقد عرض الوساطة بين الدولتين . وبهذا – كما يرى بسمرك – يتكون تكتل شبيه بتكتل القرم يعمل على تخفيف التوتر للموقف فى البلقان وبرغم الروسيا على احترام الاتفاقات (٣) . ولكن انجلترا لم ترحب بذلك الأمر . فمصر ، وموقف فرنسا فى البحر المتوسط بشكل عام ، بالاضافة إلى رغبة بريطانيا فى عدم تدخل دولة ثالثة فى أمر مصالحتها مع فرنسا فى مصر (٤) ، كل ذلك جعل ارجاع تكتل القرم كما يراه بسمرك أمراً عسيراً .

---

(١) Lowe, p. 8.

(٢) Taylor, The Struggle For Mastery In Europe 1848—1919 p. 305.

(٣) نفس المذكرة بالمرجع السابق .

(٤) كانت انجلترا تعلم جيدا أن فرنسا سوف تقف وحدها إذا ماقام نزاع بينها وبين انجلترا بشأن مصر . أنظر : نفس المرجع Taylor, p. 309.

كانت هناك عقبات اذن تحول دون سولسبرى وتنفيذ سياسته ، ولكن بمجيء يناير ١٨٨٧ كان يبدو أنه تخلص من كثير منها كما ذكرنا . وبسمرك — وقد شغل بأمر محادثاته مع النمسا وايطاليا بشأن تجديد الحلف الثلاثى — بدا أكثر استعداداً للتعاون مع انجلترا . ففترة السنوات الخمس للحلف الثلاثى كانت قد قاربت على الانتهاء فكان لابد من تجديده . ولكن كانت هناك مصاعب معينة تعترض اتمام ذلك : فالنمسا كانت راغبة عن الارتباط كثيراً بايطاليا نظراً للتنافس الايطالى الفرنسى فى البحر المتوسط ، بينما كانت ايطاليا تخشى مغبة اطماع النمسا فى البلقان وتوريط نفسها من أجل ذلك فى حرب مع الروسيا . ولكن لما كان بسمرك حريصاً على تجديد الحلف ، فقد وجد طريقا إلى ذلك : التعاون مع انجلترا ، التى كانت على استعداد لذلك نظراً لمصاعبها مع الروسيا وفرنسا (١) . وكانت النتيجة ان سولسبرى صار فى ذلك الوقت قادراً على اتباع سياسة يختارها هو ، وتهدف — كما ذكرنا — إلى الاتفاق مع ايطاليا والنمسا ومصالحة فرنسا وارضائها عن طريق اجراء مباحثات بشأن تحديد أجل للاحتلال الانجليزى لمصر .

والتغيير المفاجيء فى سياسة بسمرك ، وهو التغيير الذى أدى إلى عقد اتفاقيات البحر المتوسط فى فبراير ومارس ١٨٨٧ وإلى زيادة التعاون بين انجلترا والتحالف الثلاثى ، يراه Lowe يرجع بالدرجة الأولى إلى الضغط الايطالى (٢) ، بينما يراه Taylor يرجع إلى موقف فرنسا الذى أملى على أوروبا دبلوماسية سنة ١٨٨٧ (٣) .

فبسمرك — كما يرى تيلور — كان يرجو أن ترتمى فرنسا فى أحضان الروسيا ، بعد هذه العزلة لفرنسا فى القارة ، وهذا بالتالى يدفع انجلترا إلى الانضمام إلى جانب النمسا والمجر فى المسألة البلغارية . ولكن فرنسا فوتت

---

(١) Bruce, p. 196.

(٢) Lowe, p. 8.

(٣) Taylor, p. 310.

على بسمرك هذا الهدف بأن قررت ان تحذو حذو ألمانيا فى الأزمة . وهكذا تحرك بسمرك فى عام ١٨٨٧ يتعاون مع انجلترا (١) . أما Lowe فينظر إلى الاراء القائلة بأن اتفاقات البحر المتوسط هى فروع للتحالف الثلاثى على انها مبالغة ، ويرجع هذه الآراء إلى نفوذ الوثائق الألمانية Die Grosse Politik على التاريخ الدبلوماسى لتلك الفترة . (٢)

ومن المؤكد انه كانت هناك عوامل خاصة بايطاليا . وأخرى بانجلترا قد انتجت هذه الاتفاقيات ، وكان لكل من سولسبرى ، وكرسبى وجهة نظر دفعته إلى قبول المفاوضات من أجل هذه الاتفاقيات ، وفيما يتعلق بايطاليا ، فان من أهم دوافعها للتفاوض مع بريطانيا بهذا الخصوص أطماعها الاستعمارية (٣) والتى كانت تتلخص فى كلمة واحدة : طرابلس .

ومن ناحية ثانية هناك مخاوف الايطاليين ازاء فرنسا . فالايطاليون يرفضون بشدة وصاية الفرنسيين عليهم أو رعايتهم لهم منذ أيام نابليون الثالث . وهم أيضاً يخافون من امتلاك الفرنسيين لحوض البحر المتوسط ومن تآمرهم ضدهم . لذلك يصمم الايطاليون على زيادة قوتهم تفادياً لإذلال آخر قد يحيق بهم . كل ذلك — بجانب المشكلة الايطالية الأصلية والمستمرة ، الاريدنتا Anti — Austrian irredentism — قد اعطى اتجاها جديداً للسياسة الايطالية الخارجية . وبمجىء عام ١٨٨٤ رأينا دبلوماسيين ايطاليين مثل روبلان Robilant (٤) يزعجون خشية توسع فرنسى جديد دون معوق ، ويصممون على الوقوف فى وجه المنافسة الفرنسية . وهؤلاء كانوا يخشون أيضاً أن يؤدى استيلاء فرنسا على المغرب وطرابلس إلى انفجار شعبى فى ايطاليا يطيح بالملكية ، ويخشون ما قد يترتب على ذلك من عواقب بالنسبة لايطاليا(٥) .

---

(١) Ibid.

(٢) Lowe, p. 8.

(٣) Ibid.

(٤) وزير الخارجية الايطالية ١٨٨٥—١٨٨٧

(٥) Lowe, pp. 9 — 10.

ذلك دعا إلى زيادة اهتمام ايطاليا بطرابلس عام ١٨٨٤ . ولكن ايطاليا لم تشأ ان تسير فى ركاب ألمانيا وفرى (فرنسا) ضد انجلترا سعياً وراء الغنيمة . وعلى ذلك يرفض ما نشيني (١) مفاتحات فرى بشأن وفاق استعمارى فرنسى – ايطالى ، ويبدو ميالا إلى التعاون مع انجلترا بخصوص مصر والسويس ، أملا منه فى أن يؤدى ذلك إلى تفاهم ايطالى – انجليزى قوى يعمل على حماية المصالح الايطالية فى البحر المتوسط (٢) . فهم فى ايطاليا كانوا يعتقدون ان انجلترا هى أخلص صديق لهم فى أوروبا . وهذه النظرة الايطالية إلى انجلترا نجدها واضحة تماماً فى اتفاقها مع ألمانيا سنة ١٨٨٢ ، كما تتضح أكثر بالنسبة لتجديدات التحالف الثلاثى فيما بعد .

وفى سنة ١٨٨٦ كان الموقف – بالنسبة لايطاليا – كما كان عام ١٨٨٤ مع فارق هو تصدع وفاق بسمرك الاستعمارى مع فرنسا إلى حد الانهيار . والموقف فى البلقان قد أوحى إلى روبيلان Robilant بأنه من الممكن الحصول من ألمانيا على بعض الضمان لصالح ايطاليا فى البحر المتوسط وتنمية التعاون مع انجلترا فى نفس الوقت (٣) .

وكان روبيلان واثقاً من نفسه . فهو يصر على تعضيد ألمانى لايطاليا فى طرابلس ثمناً لتجديد الحلف الثلاثى . ولم يكن يهم روبيلان ان يعنى ذلك تعاوناً مع انجلترا او فرنسا ، فعلى بسمرك تجديد ذلك . وفى ١٧ اكتوبر (١٨٨٦) جاء رد بسمرك كما أرسل به لوناى Launay – السفير الايطالى فى برلين – إلى روبيلان . وفيه يقول ان بسمرك

"n'hesite pas à formuler son opinion dans ce sens qu'il serait tout contraire tout l'interêt de l'Allemagne qu'à celui de l'Italie d'entrer dans les vues de la France."(٤)

وكان ذلك يعنى طبعاً ان على ايطاليا أن تتجه إلى انجلترا .

---

(١) وزير خارجية ايطاليا (١٨٨١–١٨٨٥) .

(٢) Lowe, p. 11.

(٣) ، (٤) Ibid. p.12.

وباتضاح موقف بسمرك ازاء ما ينبغى أن تكون عليه العلاقات الايطالية – الفرنسية ، يسعى روبيلان لعقد تحالف مع انجلترا ، ويستدعى Lumley السفير البريطانى فى روما – يوم ٢٢ اكتوبر (١٨٨٦) – ويخبره انه على استعداد لبحث المسألة المصرية ، كما يظهر روبلان ذلك على الملأ فى خطبة عامة له فى نوفمبر ١٨٨٦ (١) .

ولكن لم يكن لهذا أثر يذكر ، فالانجليز كانوا يريدون تعضيداً فى بلغاريا ، الأمر الذى كان روبيلان راغباً عنه ، والايطاليون يعرضون تأييدهم للانجليز فى مصر ، وهو أمر كان الانجليز يشكون كثيراً فى قيمته(٢).

فشل روبيلان اذن فى دفع بريطانيا إلى اتخاذ الخطوة الأولى نحو عقد تحالف ايطالى – انجليزى . فقام هو بتلك الخطوة . وقابل Corti كورتى السفير الايطالى فى لندن – سولسبرى فى ٧ ، ١٧ يناير ١٨٨٧ ، وأشار إلى أن الوقت قد حان لتفاهم انجليزى – ايطالى (٣) . وفى هذه المقابلة الأخيرة يقول سولسبرى للسفير الايطالى أنه يود أن يجعل العلاقات مع ايطاليا أكثر توطداً وأكثر نفعاً (٤) .

واقتراحات كورتى كانت غامضة إلى حد ما (يناير ١٨٨٧) . ولكن مهما يكن فهم سولسبرى للعروض الايطالية ، سواء كانت توحى بتعضيد ايطالى فى بلغاريا بالذات أو شرقى المتوسط عامة ، فان سولسبرى – كما كتب إلى سفيره فى القسطنطينية Morier فى ١٩ يناير ١٨٨٧ – كان يعتقد بأن استخدام ايطاليا فى الدفاع عن الحالة الراهنة فى الشرق انما هو أمر واقع (٥) .

---

(١) Ibid.

(٢) Ibid. p. 13.

(٣) Ibid.

(٤) Taylor, p. 310

(٥) Lowe, p. 14.

ولكن اقتراحات روبيلان التى جاءت بالتفصيل فيما بعد (١ فبراير سنة ١٨٨٧) كانت على عكس ما توقع الانجليز . فهى وان كانت تتكلم عن أثرها فى القضاء على الخطر الروسى الا انه يبدو انها كانت ترمى إلى تحالف فى حالة الحرب ضد فرنسا . (١) وكان ذلك أكثر مما كان يرمى اليه سولسبرى (٢) .

فالايطاليون كانوا يرغبون فى عقد اتفاقية محددة واضحة لمراعاة الحالة الراهنة فى البحر المتوسط . وقد اقترحوا لذلك مراعاة الحالة الراهنة فى البحر المتوسط والادرياتى والايجى والبحر الأسود ومقاومة كل ضم أو احتلال أو حماية فى هذه الجهات . وعدم احداث تغيير فى هذه المناطق مهما كان دون موافقة مسبقة من انجلترا وايطاليا ، والتأييد الايطالى لانجلترا فى مصر مقابل التأييد البريطانى لايطاليا فى شمال افريقيا ولا سيما فى برقة وطرابلس وذلك ضد أى غزو بمعرفة دولة ثالثة ، وأخيراً تعضيداً عاماً متبادلا فى البحر المتوسط . ولكن يلاحظ أن كل هذه المقترحات كانت تعنى أكثر من حلف ضد فرنسا أو ضد انجلترا والحجر فيما يتعلق بالادرياتى (٣) .

ويبدو ان الايطاليين — بهذا العرض — كانوا قد أساءوا فهم البريطانيين . فالبريطانيون ، رغم أنهم كانوا مستعدين لاعطاء ايطاليا نوعاً من التعضيد فى طرابلس كما أعطاهم الايطاليون فى مصر ، لم يكونوا على استعداد للارتباط معهم بحلف من هذا النوع . فقد يلجأ مثلا خليفة روبيلان إلى شن حرب ضد فرنسا لاسترجاع نيس وسافوى . وعلى أية حال فانجلترا لم يكن لديها ما يمنع من ايجاد تفاهم مع ايطاليا — فى حالة زوال احتمال عمل ايطاليا على استرجاع نيس وسافوى .. فطرابلس نفسها ،

---

(١) Ibid.

(٢) Taylor, p. 311.

(٣) Ibid.

فى هذه المرحلة ، لم تكن تكوّن عقبة فى سبيل مثل هذا التفاهم . وقد أكد سولسبرى لكورتى انه فى الوقت الملائم فان ايطاليا هى التى سوف تحتل طرابلس وليست فرنسا . وكانت انجلترا تعلم ان طرابلس لا تثير مشكلة تذكر مع فرنسا (١) .

وكان على كورتى أن يؤكد لسولسبرى ان ايطاليا ليست لديها أية نية لمهاجمة فرنسا ، ولكن ايطاليا — ببساطة — تريد الا تتكرر مسألة تونس بصورة أخرى . وقد أكد روبيلان ذلك فى ٧ فبراير ١٨٨٧ (٢) .

وإذا كانت ايطاليا حقيقة ليست لديها النية لمهاجمة فرنسا فان اتفاقاً مع ايطاليا يربط انجلترا بدول الوسط يبدو لانجلترا ذا ميزات متعددة بالنسبة لها .. ولكن الأمر الذى كان يخيف سولسبرى حينئذ كان هذا الذى يقوله بسمرك فى الرايشستاج Reichstag أوما كان يعنيه عن قرب حدوث حرب فرنسية — ألمانية .

وفى الواقع كانت الصحافة الألمانية والرأى العام الألمانى حينئذ يتكلم عن استعدادات فرنسية على الحدود وعن النزعة الحربية للجنرال بولانجيه Boulanger وزير الحرب الفرنسى (٣) . ورغم ان Hatzfeldt السفير الألمانى فى لندن — قد أبلغ سولسبرى فى ٢٤ يناير ١٨٨٧ أن ألمانيا سوف تهاجم فرنسا فى الحال إذا استمرت استعدادات بولانجيه الحربية (٤) الا أن كلى المستشار والقيصر فى ألمانيا لا يفتأ يؤكد نزعة ألمانيا السلمية ازاء فرنسا (٥) . ذلك يرجح الرأى القائل بأن الخطر الفرنسى على ألمانيا حينئذ انما هو خطر وهمى كان يحلو لبسمرك أن يخلقه .

---

(١) Lowe, p. 14.

(٢) Ibid., p.15.

(٣) أنظر Herbette (برلين) الى Flourins ، ٢٣ يناير ١٨٨٧ — الوثائق الفرنسية — المجموعة الأولى — جزء ٦ رقم ٤٠٤

(٤) Lowe, p. 15.

(٥) أنظر Flourins الى Iaboulaye (سان بيترسبورج) — ٣ فبراير ١٨٨٧ — الوثائق الفرنسية — المجموعة الأولى — جزء ٦ رقم ٤٢٢ .

وبسمرك من ناحية أخرى – كان يتعجل حدوث اتفاق ايطالى – انجليزى ، وذلك قبل أن يضع Kalnoky العقبات فى اللحظة الأخيرة .. ونرى بسمرك فى هذه المباحثات الانجليزية – الايطالية مهتما بالشرق وليس بالغرب . فهو باهتمامه كثيراً بالارتباط مع انجلترا فى الشرق انما يضمن أن ايطاليا سوف تكون عند التزاماتها – الأمر الذى كانت فيينا تشك فيه . ذلك يفسره ما أبلغه بسمرك إلى Malet – السفير البريطانى فى برلين – فى يوم ١ فبراير ١٨٨٧ بأنه ليست هناك حاجة إلى أى اتفاقية موجهة ضد فرنسا ، بل ان كل المطلوب هو تفاهم بخصوص الشرق .

فى نفس الوقت يقنع الانجليز Hatzfeldt – السفير الألمانى فى لندن باعطاء ضمان لتأييد ألمانى فى مصر (١) .

على اية حال ، نجد انه بمجىء أول فبراير ١٨٨٧ اتضح انه كان هناك قدر كبير من التفاهم بين سولسبرى وروبيلان . واطمأن الانجليز إلى نزعة ايطاليا . فقد أوضح Robilant ان كل ما يطلبه هو التأكد من عدم وجود احتمال لاتفاق أوروبى قد يعطى طرابلس إلى فرنسا . فهذا من شأنه أن يحدث زوبعة فى ايطاليا قد تؤدى إلى الحرب (٢) .

وهكذا نجد ان الوزارة البريطانية تطمئن ، وتسمح لسولسبرى بأن يجيب روبيلان بالموافقة (٢ فبراير ١٨٨٧) ، ولاسيما وان تشرشل كان – كما ذكرنا – قد خرج من الوزارة ولم يعد سولسبرى يجد معارضة لآرائه .

واستقالة الوزارة الايطالية التى كان روبيلان وزيراً للخارجية بها (٥ فبراير ١٨٨٧) جعل سولسبرى يسرع بعقد الاتفاق المنشود ، وذلك قبل أن تقف سياسات ايطاليا الداخلية فى سبيل خططه (٣) ..

---

(١) Lowe, pp. 15—16.

(٢) Ibid. p. 16.

(٣) Iibd.

وأخيراً تتمكن كل من بريطانيا وايطاليا من الوصول إلى اتفاقية سرية (١٢ فبراير ١٨٨٧) . وهى الاتفاقية الأولى من سلسلة الاتفاقات التى عقدتها بريطانيا مع الدول وسميت باسم اتفاقات البحر المتوسط Mediterranean Agreements وهذه اتفاقية من أجل حفظ الحالة الراهنة status quo فى البحر المتوسط والبحر الادرياتى والبحر الايجى والبحر الأسود . وفيها تتعهد ايطاليا بتعضيد المصالح البريطانية فى مصر ، كما تتعهد بريطانيا بحماية السواحل الايطالية من الأسطول الفرنسى (١)

وقد جاءت هذه الاتفاقية — كما أرادها سولسبرى — تخدم الظروف الحاضرة ، ولا ترتبط بها بريطانيا ارتباطاً محدداً ، ولا تعطى الايطاليين سوى موافقة عامة لفكرة التعاون . وقد أضاف سولسبرى إلى الاتفاقية جملة غامضة حول مضمون هذا التعاون تقول :

"... the character of that co-operation must be decided by them, when the occasion for it arises, according to the circumstances of the case."

وكان سولسبرى يعنى بكلمة by them الانجليز . بينما كان الايطاليون يفهمونها على أنها تعنى كلى الحكومتين البريطانية والايطالية(٢).

وقد لجأ سولسبرى إلى جعل الاتفاق على شكل خطابات متبادلة وليس بصورة معاهدة . وهى طريقة يستطيع بها أن ينفى للبرلمان أنه قد فعل أى شىء . وفى نفس الوقت فهو يخبر روبيلان أن تفاهما بين بريطانيا وايطاليا على ذلك النحو سوف يكون له نفس تأثير «الاتفاقية» . وعلى أى حال ففى نظر سولسبرى فان اتفاقا مع ايطاليا لهو يمثل اتجاها سياسياً سليما بالنسبة للصداقة التقليدية بين الايطاليين والبريطانيين(٣) .

---

(١) Esnor, p. 198.

(٢) Taylor, p. 311.

(٣) Lowe, p. 17.

وبالنسبة لايطاليا نجد أن الحلف الجديد مع انجلترا يخدمها سواء بالنسبة لمركزها فى المتوسط واطماعها هناك أو بالنسبة لعلاقاتها بالحلف الثلاثى ، فبهذا الحليف قد قوى من مركز ايطاليا كثيراً ، كما اعترف — لأول مرة — بأطماعها فى البحر المتوسط . فالمادة الثالثة من اتفاقها مع انجلترا تنص على أنه بينما على ايطاليا أن تعضد بريطانيا فى مصر ، فان على بريطانيا بالتالى — فى حالة اغتصاب دولة ثالثة لأراض (طبعاً بالبحر المتوسط ، والمقصود هنا فرنسا والمغرب) — ان تعضد عمل ايطاليا فى أى جهة أخرى على سواحل افريقية الشمالية ولاسيما فى برقة وطرابلس » (١) وهكذا كان الطريق فى الواقع قد تمهد للحرب الطرابلسية سنة ١٩١١ ، بعد أن حددت هذه الاتفاقية الأهداف الايطالية واعترفت بآمال ايطاليا فى شمال افريقية .

وبعقد ايطاليا لاتفاقها مع انجلترا تتحرر النمسا من مخاوف انزلاقها وحدها إلى حرب ضد فرنسا بسبب ايطاليا ، ويتجدد الحلف الثلاثى (٢٠ فبراير ١٨٨٧) بعد أسبوع من عقد اتفاق البحر المتوسط هذا ، وبعد مصاعب تخطاها بسمرك مستخدماً مهارة مرموقة فى ذلك السبيل . فبسمرك يجدد التحالف الثلاثى بدون تغيير لارضاء كالنوكى كما تعقد اتفاقيات منفصلة بين ايطاليا وكل من ألمانيا والنمسا والمجر . وفيها تعد ألمانيا ايطاليا بمساعدتها إذا حاولت فرنسا أن تمد احتلالها أو حمايتها أو سيادتها على طرابلس أو المغرب . كذلك تعد ألمانيا بأن تهرع إلى نجدتها إذا هى تحركت بعدئذ فى شمال افريقية أو حتى إذا هاجمت فرنسا فى أوروبا . وفضلا عن ذلك فالمانيا تعد ايطاليا بأن تحصل لها على ضمانات اقليمية لسلامة حدودها ومركزها البحرى ، وكانت تقصد بذلك كورسيكا وتونس ونيس (٢) . وبذلك لم يعد التحالف الثلاثى مجرد عصبة من أجل السلام — كما كان يحلو لبسمرك أن يصفه — وصار بعيداً كل البعد عن وعود بسمرك المتكررة بتعضيد فرنسا فى كل مكان ما عدا الالزاس واللورين .

---

(١) Bruce, p. 196.

(٢) Taylor, p. 312.

وأهداف ايطاليا فى علاقتها بالنمسا تتضح أيضاً عند تجديد الحلف الثلاثى . ففى اتفاقية منفصلة وملحقة بالحلف الثلاثى تتفق الدولتان على أنهما إذا وجدتا ضرورة لاتخاذ خطوات لتغيير الحالة الراهنة فى البلقان أو الادرياتى والايجى ، فعليهما أن تتفقا مسبقاً بالنسبة للخطوات التى عليهما اتباعها . وكذلك ينص الاتفاق — فى هذه الحالة — على أن تنال كل منهما تعويضاً عن أى كسب تحصل عليه الأخرى .. وهذه الفقرة قد احتواها التجديد للحلف الثلاثى فى أعوام ١٨٩١ ، ١٩٠٢ ، ١٩١٢ .. ونلحظ ان ايطاليا تتخلى عن الحلف الثلاثى فى سنة ١٩١٥ بحجة أن هجوم النمسا على الصرب هو خرق لهذا الاتفاق (١) .

وهكذا . بمجىء فبراير ١٨٨٧ كان سولسبرى قد حصل اخيراً على ما كان يسعى للحصول عليه منذ صيف سنة ١٨٨٦ : اتفاقية ربطت بين دول الوسط بهدف الدفاع عن الحالة الراهنة فى الشرق ، ولاسيما وأن موافقة النمسا عليها (مارس ١٨٨٧) قد زادت من قيمتها .

وكانت الأسباب الرئيسية لامتناع كالنوكى Kalnoky عن ذلك فى الماضى هو موقف برلين من ناحية ، وما كان يراه من عدم الاعتماد على السياسة البريطانية التى كانت متأثرة بنفوذ تشرشل من ناحية أخرى . ولكن الآن — وقد ذهب تشرشل — ومنذ ١٦ فبراير قد بدأت برلين تتعجله الانضمام إلى التكتل البريطانى — الايطالى . وبذلك لم يعد هناك ما يمنع من فتح باب المفاوضات مع بريطانيا فى ٢٣ فبراير بقصد الوصول إلى اتفاق على غرار ذلك الذى عقدته بريطانيا مع ايطاليا (٢) .

وبالنسبة لانجلترا ، فانه إذا كان اتفاقها مع ايطاليا (فبراير) ثم اتفاق ايطاليا مع ألمانيا فى الأسبوع التالى قد ضمنا الحالة الراهنة فى البحر المتوسط ضد فرنسا ، فان الخطر من جانب الروسيا قد أغفلته هذه الاتفاقات .

---

(١) Bruce, pp. 196—197.

(٢) Lowe. P. 17.

ولم يكن ذلك التجاهل بالطبع الأمر الذى يسر النمسا . وهنا كان سولسبرى أيضاً مستعداً لارضاء النمسا . فسعى إلى ذلك الأمر وهو يرى ان الوزارة البريطانية — وقد انزلقت إلى اتفاقية — فان تعارض فى عقد أخرى (١) .

وقد كان كالنوكى — كما كان روبيلان — يفضل تحالفاً قوياً صلباً لا يربط الحكومة البريطانية الحالية فحسب ، بل الحكومات البريطانية القادمة أيضاً .. ولكن سولسبرى رأى ان عقد اتفاق Treaty غير مأمون العواقب بالنسبة لمركزه البرلمانى .. وجهد سولسبرى كثيراً ليقنع كالنوكى بأن اتفاقاً سياسياً له قيمته ، على أن تترك القرارات العسكرية فيما بعد حسبما تملى الظروف والأحداث (٢) .

وقد كان لسولسبرى ما أراد . وهكذا يجىء اتفاق بريطانيا مع النمسا (٢٤ مارس ١٨٨٧) وفى المذكرات المتبادلة بين الحكومتين البريطانية والنمسوية تذكر الحالة الراهنة وعلى الأخص فى البحرين الايجى والأسود ؛ ولكنها لم تحتو على اشارة محددة للبلقان ، وهو ما كان كالنوكى يصر عليه فى أول الأمر . وهذه المذكرات — مثل مثيلاتها المتبادلة مع ايطاليا — تكلمت فقط عن تعاون دبلوماسى ، لم ويكن هناك أى وعد أو ارتباط من جانب بريطانيا بشىء (٣) . وبذلك يكون سولسبرى قد ربط انجلترا إلى تفاهم سياسى عام مع ايطاليا والنمسا فى البحر المتوسط . تاركاً أمر الترتيبات التفصيلية بشأن التعاون بين الدول الثلاث تحددها الظروف والضرورة(٤).

والاتفاق الانجليزى — النمسوى قد جاء بمزايا بالنسبة للنمسا . فقد حصلت النمسا على ما سبق أن رفضه روبيلان — وزير الخارجية الايطالية — عند تجديد الحلف الثلاثى ، وهو التعضيد الايطالى فى الشرق . وبذلك

---

(١) Taylor, p. 312

(٢) Lowe, p. 17.

(٣) Taylor, p. 313.

(٤) Lowe, p. 18.

يرجع لانجلترا الفضل فى ازدياد تماسك التحالف الثلاثى ، فكالنوكن — فى أول الأمر — لم يول هذه الاتفاقات اهتماماً يذكر (١) .

وهكذا تكون اتفاقات فبراير ومارس ١٨٨٧ قد خلقت وفاقا ثلاثياً يحمى مصالح بريطانيا فى مصر ومصالح ايطاليا فى طرابلس ومصالح الجميع فى القسطنطينية . ونلاحظ انه رغم أن فرنسا لم تكن تعلم شيئاً عن أية اتفاقية مكتوبة تدور حول البحر المتوسط ، وكذلك كان الروس ، الا أن هذه الحقيقة عن التعاون الدبلوماسى الذى اشتملت عليه هذه الاتفاقات كانت واضحة للجميع (٢) .

وقد يكون هدف سولسبرى من هذه الاتفاقات هو ضمان تأييد دول وسط أوروبا الدبلوماسى فى المسألة المصرية ، ولكنه على أية حال قد برر هذه الاتفاقات للملكة فيكتوريا بأنها أحسن طريقة لدرء خطر عصبة من دول القارة الأوروبية قد تسعى إلى تقسيم الامبراطورية البريطانية(٣) .

والاتفاقات فى حد ذاتها نصر كبير للدبلوماسية البريطانية . فقد حصل الانجليز على تأييد دبلوماسى لهم دون وعد صريح بعمل قد يعقب ذلك التأييد . وبذلك ضمن الانجليز أغلبية صامدة فى وجه الفرنسيين فى مصر(٤).

كانت الخطوة التالية لسولسبرى — بعد عقد اتفاقه مع النمسا (مارس ١٨٨٧) ، هى انتهاز فرصة هذا الموقف — غياب تشرشل من ناحية . وتعضيد بسمرك من ناحية اخرى — وإحياء فكرة المفاوضات بخصوص الانسحاب من مصر(٥) .

---

(١) Ibid.
(٢) Ibid. p. 313.
(٣) Ibid. 314.
(٤) Ibid.
(٥) Lowe, p. 18.

وبعد تسعة شهور اتخذت الامور شكلها النهائى بعقد اتفاقية البحر المتوسط الثانية (١٢ ديسمبر ١٨٨٧) ، وهى اتفاقية لا يحمل اسمها سوى النذر اليسير من المعنى لأنها لا تحتوى الا القليل عن البحر المتوسط . وانما هى قد جاءت على اية حال نتيجة للأزمة البلغارية وميول كل من كرسبى وكالنوكى .

ففى ٧ يوليو (١٨٨٧) انتخب المجلس البلغارى فرديناند Ferdinand of Coburg أميراً متحدياً بذلك رغبات الروس ، وبدا التدخل الروسى وشيك الوقوع . وتكرر موقف الخريف الأسبق : كل من بسمرك وسولسبرى يرغب فى أن يكل إلى الآخر أمر تعضيد النمسا والمجر ، وفى ٣ أغسطس يقابل سولسبرى هاتزفلد Hatzfeldt فى لندن ، ويبدآن سلسلة من المناقشات حول الأمور العالمية . وبدا الأمر صعباً . فسولسبرى يصر على أنه من غير الممكن انقاذ الامبراطورية العثمانية وأن انجلترا سوف تضطر إلى اقتسامها مع الروسيا ، مالم تعضدها المانيا . ولكن بسمرك لم يخدع وسرعان ما أرسل إلى سفيره فى لندن — بعد أقل من أسبوع (١) — بأن من دواعى سروره أن يعمل على تشجيع تفاهم روسى — انجليزى . وحينئذ تراجع سولسبرى واجاب بأنه لا يستطيع أن يخذل ايطاليا ويهجرها وأن اتفاقية انجليزية روسية على أية حال ، أمر مستحيل ، وهذا هو الأمر الوحيد فى المسألة الذى كان بسمرك يعمل على تحقيقه (٢) .

وجاء دور سفراء الدول الثلاث المتحالفة (ألمانيا — النمسا والمجر — ايطاليا) فى القسطنطينية . فبدأوا فى التشاور حول موقف تركيا فى الأزمة ، وأنها سوف تسلم للروسيا عند أول تهديد روسى لها . وتكلم السفراء الثلاثة عن فكرة اعطاء تركيا قوة للمقاومة ، على الأقل قوة أدبية . وتبنت ايطاليا هذا الاقتراح بحماس . فكرسبى — وقد صار رئيساً للوزراء

---

(١) فى ٨ أغسطس ١٨٨٧ . أنظر . Taylor, p. 319.

(٢) نفس المرجع ص ٣١٩ .

منذ يوليو ١٨٨٧ – كان يعلم تماماً مدى ضعف بلاده وتفككها، واعتقد ان علاج ذلك يكمن فى دفع ايطاليا إلى النشاط . لذلك كان كرسبى ينتهز أى فرصة لاظهار بلاده بمظهر الدولة العظمى ، ويعمل على كسب تأييد بريطانيا لسياسته الاستعمارية العدوانية عامة وموقف ايطاليا من فرنسا فى البحر المتوسط خاصة . ففى ابان وزارة كرسبى الأولى (١٨٨٧ – ١٨٩١) لم يغفل قط – بصفته وزيراً للخارجية – مسألة بيزرت التى كان الفرنسيون قد أثاروها منذ عام ١٨٨١ . كذلك فهو لم يفتأ – طوال هذه الفترة – اثارة هذه المسألة لدى الدول الصديقة والمتحالفة وحتى المهتمة عند أى بادرة لأى عمل انشائى فى بيزرت مهما كان تافها (١) ولكنه يرمى إلى جعلها قاعدة بحرية تهدد أمن وسلام ايطاليا . وكان كرسبى يهتم على وجه الخصوص بجذب انجلترا للتعاون معه ومع حلفاء ايطاليا فى عمل يهدف إلى منع استقرار فرنسا فى هذه الانشاءات . فأعمال فرنسا هذه كانت تبدو فى نظر كرسبى مخالفة لما سبق وتعهدت به فرنسا حينما فرضت حمايتها على تونس ، كما انها أيضا تخل بالتوازن وتهدد الحالة الراهنة بالبحر المتوسط (٢) .

وفى هذا المضمار – العمل على كسب تأييد بريطانيا لايطاليا – كان كالنوكى يؤيد كرسبى ، فكالنوكى يريد جذب انجلترا أكثر إلى الشرق الأوسط . وقد رحب سولسبرى بالتفاهم مع النمسا وايطاليا حول هذا

---

(١) أنظر Crispi, Francesco, "Politica Estera" (1871—1890) "Questioni Internationali" Traduction fr. de P.G. Grandchamp. p.123.

(٢) والحكومة الانجليزية بدورها كانت تشارك كرسبى وجهة نظره . ففى مذكرة لها إلى الحكومة الايطالية فى ١٩ يناير ١٨٨٩ تذكر أن بيزرت كانت أقوى مركز ستراتيجى فى البحر المتوسط . وهى لذلك تعاتب بشدة الحكومة الفرنسية وتوجه نظرها إلى التزاماتها فى هذا المجال والتى تعهدت بالوفاء بها منذ عام ١٨٨١ ، وكذلك فعلت المانيا عن طريق سفيرها فى باريس . وفى مذكرة أخرى لسولسبرى – ردا على مراسلة من حكومة كرسبى بتاريخ ٢٩ يناير ١٨٨٩ – يؤكد سولسبرى أن مسألة بيزرت تهم بريطانيا بقدر لايقل عن اهتمام ايطاليا بها ، وأنها تراقب الموضوع بكل اهتمام ويقظة – أنظر المرجع السابق ص ١٢٣/ ١٢٤ .

الموضوع ، ولكنه طلب أن تغطى الاتفاقية آسيا الصغرى كما تشمل بلغاريا والمضايق . والوزارة البريطانية لم تسلم أول الأمر برأى سولسبرى بضرورة الاتفاق مع النمسا وايطاليا ، ولكن موافقة بسمرك الأدبية — كطلب سولسبرى — على ذلك الاتفاق ، دون أى وعد بمساعدة عملية أو الارتباط بسياسة معينة ، هذه الموافقة الأدبية كانت بمثابة ارضاء للوزارة البريطانية(١) .

وهكذا توقع اتفاقية البحر المتوسط الثانية (١٢ ديسمبر ١٨٨٧) ، وفيها تتحد الدول الثلاث فى المحافظة على الحالة الراهنة فى الشرق الأدنى ، كما يتفقون بوجه خاص على حرية المضايق والسلطة التركية فى آسيا الصغرى وسيادتها على بلغاريا . وإذا اضطرت تركيا إلى مقاومة «أى مشروعات غير قانونية» — ومن المفروض أن تأتى من جانب الروسيا بالطبع — فان الدول الثلاث عليها أن «تصل فى الحال إلى الوسائل التى تتخذ» لحمايتها . أما إذا تجاهلت تركيا مثل هذه «المشروعات الغير قانونية» ، فان الدول الثلاث ، سوف تجد مبرراً «لاحتلال ما تراه ضرورياً من الأراضى التركية حسبما يتفق عليه ، باعتبار أن مثل هذا الأمر شيئاً ضرورياً . ومن ذلك نرى انه إذا كانت اتفاقات البحر المتوسط الأولى تهدف إلى تعاون دبلوماسى ضد فرنسا على وجه الخصوص ، فان الاتفاقية الثانية كانت تمهيداً لعمل عسكرى محتمل موجه ضد الروسيا فقط .

ولكن ارتياح سولسبرى بخصوص تلك الاتفاقية لم يستمر كثيراً . فبسمرك قد أخبره بمحتويات المحالفة النمسوية الألمانية لعام ١٨٧٩ . بالاضافة إلى ذلك فسولسبرى لم يكن ليطمئن على الاطلاق إذا علم بمحتويات الاتفاقية الألمانية — الروسية(٢) Re insurance Treaty (١٨٨٧) التى فيها وعد المستشار

---

(١) Taylor, pp. 320 — 321.

(٢) بدأت مفاوضات هذه الاتفاقية فى صيف عام ١٨٨٧ . وهذه هى المحالفة الرابعة المهمة ، بعد الحلف الالمانى — النمسوى (١٨٧٩) وحلف الأباطرة الثلاثة (١٨٨١) والتحالف الثلاثى (١٨٨٢) ، التى عقدها بسمرك بعد مؤتمر برلين ... وهذه المحالفة الروسية — الألمانية هى فى الواقع اعتراف من بسمرك بفشله فى أمرين : ازالة التوتر بين المانيا وفرنسا ، وازالة بين النمسا والمجر والروسيا من ناحية أخرى . أنظر : Bruce, p. 879

الألمانى الروسيا بالحياد المشبع بالعطف فى حالة تقدمها فى البلقان والمضايق (١) وموافقة بسمرك ومباركته لاتفاقيات البحر المتوسط وعقده لاتفاقه ذلك مع الروسيا فى نفس الوقت لمن المسائل المعقدة التى يصعب تفسيرها (٢) .

وسقوط بسمرك (٩ مارس ١٨٩٠) لم يؤثر مباشرة على علاقة دول الوسط بانجلترا فيما يتعلق بالبحر المتوسط . وظلت ألمانيا تشجع زيادة تقارب انجلترا من دول الوسط . ففى ٧ مارس ١٨٩١ كتب مارشال Marschal ، وزير الخارجية الألمانية ، يقول « ان صداقة بين ايطاليا وانجلترا لهى شوكة خاصة فى عين فرنسا ، كما انها أكبر عقبة فى وجه المطامع الفرنسية فى البحر المتوسط » (٣) .

لذلك جهدت ألمانيا فى تقريب انجلترا من ايطاليا برباط أقوى من ذلك الذى تم فى عام ١٨٨٧ . فاتفاقيات البحر المتوسط (مارس وديسمبر ١٨٨٧) لم تر فيها المانيا قرارات حول البحر المتوسط بالمعنى الضيق ، انما كانت كلها تتعلق بالمشكلة الشرقية . وكانت ألمانيا تعلم أن اتجاه السياسة الايطالية هو ضمان مصالح ايطاليا فى البحر المتوسط قدر الامكان ، بواسطة اتفاقيات مناسبة ، ولم تحاول ايطاليا أن تخفى هذا الاتجاه فى ابان المباحثات مع ألمانيا بشأن تجديد الحلف الثلاثى . وايطاليا بدورها كانت تعتقد بأن اتفاقها السرى مع انجلترا غير كاف لحماية مصالحها كما أنه فشل فى الاعتراف بأهمية ايطاليا بالنسبة للسياسة البريطانية (٤) . لذلك تظهر اقتراحات ألمانية ترمى إلى دخول انجلترا فى اتفاق لمراعاة الحالة الراهنة فى كل حوض البحر المتوسط . ورغم أن سولسبرى كان

---

(١) Ensor, pp. 198—199.

(٢) أنظر : Herzfeld, Hans, Die Moderne welt, I Teil, p. 238.

(٣) German Diplomatic Documents vol. II. p. 55.

(٤) هكذا أخبر Torrielli ، السفير الايطالى فى لندن ، زميله الألمانى Hatzfeldt — هاتزفلد إلى الخارجية الألمانية ، ٢٦ مارس ١٨٩١ — سرى — Germ. Dip. Doc. II. p. 94.

يبغى الاستمرار فى تقارب أشد مع ايطاليا ومع الحلف الثلاثى بالتالى ، فالدولتان لم تصلا — فى هذا الحال — إلى اتفاق محدد (١) .

ورغم ان سياسة سولسبرى المتميزة بالصداقة الواضحة مع الحلف الثلاثى قد استمرت بعد سقوط سولسبرى ومجىء روزبرى وزيراً للخارجية (١٨٩٢) ، الا أن هذه العلاقة الوطيدة لا تلبث أن تنهار فى عام ١٨٩٦ — ابان وزارة سولسبرى نفسه الثالثة . فحينما تولى روزبرى وزارة الخارجية سنة (١٨٩٢) أخبر سفراء دول الحلف الثلاثى بأنه يعتزم الاستمرار فى سياسة سولسبرى ، وأبدى السفراء ارتياحهم الودى ازاء هذه البادرة الطيبة منه . وهكذا استمرت الوزارة فى اتباع سياسة الصداقة الواضحة مع الحلف الثلاثى ، ولكن دون ارتباط أو وعد أو اتفاق محدد المعالم ، وهذه كانت سياسة — كما كان يقول لورد جرانى — يمكن التخلص منها فى أى لحظة (٢) . ومع ذلك فهذه العلاقة كثيراً ما كانت تثير الرأى العام الفرنسى ولا سيما فى أوقات الاحتكاك بين البلدين ، فتتكلم الصحافة الفرنسية عن الحلف الثلاثى ناعتة إياه بالحلف الرباعى (٣) .

وفى عام ١٨٩٦ تنهار هذه العلاقة بين انجلترا ودول الوسط ، وهى علاقة كما رأينا قد نمت وقويت بعناية منذ عام ١٨٨٧ ، وتحل محلها هذه السياسة المشهورة عن البريطانيين : العزلة الرائعة Splendid Isolation ودواعى هذا التغيير معقدة فى الغالب بعكس ما تبدو به لأول وهلة : هناك ما يتعلق بالوزارة البريطانية . فالمعارضة بالنسبة لآراء سولسبرى صارت أقوى كثيراً بعد عام ١٨٩٥ . بالاضافة إلى ذلك فقد حدث تغيير فى التفكير بشكل عام ، وبدا هناك احساس واضح فى لندن بتصدع الحلف الثلاثى . فى نفس الوقت ، صارت برلين مقتنعة بمجىء عام ١٨٩٦

---

(١) ملحوظة بالمرجع السابق ص ٩٤ . أنظر أيضا الفصل الخاص بايطاليا والبحر المتوسط ، نفس المرجع ص ٩٥–١٠٧

(٢) Grey, Twenty-Five Years vol. I. p. 47.

(٣) Ibid. pp. 47 — 48.

بأن المفاوضات مع انجلترا كانت بمثابة مضيعة للوقت . كذلك كان لاتباع ألمانيا لسياستها الاستعمارية Kolonialplotik أثره فى ابعاد كل المسئولين والرأى العام فى بريطانيا عن ألمانيا (١) . وكان ذلك فى الواقع يعنى انهيار اتفاقات البحر المتوسط .

وفيما عدا اتفاقات البحر المتوسط هذه . بقيت بريطانيا بوجه عام بعيدة عن المحالفات الأوروبية . وقد ارتفعت أصوات فى بريطانيا فى عام ١٨٩٨ تنادى بنبذ سياسة العزلة هذه(٢) ولكن عقد بريطانيا لاتفاقيتها مع فرنسا (٢١ مارس ١٨٩٩) كانت نصراً لسياسة العزلة» بالنسبة لبريطانيا . (٣) فالانجليز قد اطمأنوا — بعقد هذه الاتفاقية — على مركزهم فى مصر ، ولم تعد بريطانيا . من وجهة النظر العسكرية . فى حاجة إلى تعضيد الدول الأخرى لها فى مصر . وبهذا أصبحت فاشودة فى الواقع ما تبقى من وفاق البحر المتوسط .

---

(١) أنظر Lowe, pp, 91 94.

(٢) Eubank, Keith, Paul Cambon-Master Diplomatist, p. 64.

(٣) Taylor, p. 382.

ثبت الاعلام

ادسلى Iddesleigh وزير الخارجية الانجليزية فى وزارة سولسبرى الثانية خلفه سولسبرى فى وزارة الخارجية فى يناير ١٨٨٧ .

بسمرك Bismarck مستشار الرايخ الألمانى (١٨٧١ — ١٨٩٠) .

بولانجيه Boulanger,Georges-Ernest وزير الحرب فى وزارتى فريسينيه وجوبليه (يناير ١٨٨٦ — مايو ١٨٨٧) .

بيكونزفيلد Beaconsfield (Benjamin Disraeli) الرئيس الفعلى للوزارة البريطانية (١٨٥٢) . رئيس الوزراء (١٨٧٤ — ١٨٨٠) (حصل على لقب كونت بيكونزفيلد عام ١٨٧٦) .

تشرشل Randolphe Churchill وزير مالية بريطانيا فى وزارة سولسبرى الثانية (تكونت فى أغسطس ١٨٨٦) . استقال فى يناير ١٨٨٧

تورنيللى Tornielli السفير الايطالى فى لندن .

تيلور Taylor, A.J.P. مؤرخ بريطانى معاصر . عمل محاضراً فى الجامعات البريطانية . كتب للصحافة واشتغل معلقاً على الأحداث بالاذاعة البريطانية . له مجموعة من الأعمال الجيدة فى التاريخ الدولى .

روبرت موريه Robert Morier سفير بريطانيا فى بطرسبرج .

روبيلان Robilant, General di وزير خارجية ايطاليا (اكتوبر سنة ١٨٨٥ — ابريل ١٨٨٧) .

سولسبرى Salisbury رئيس وزارة بريطانيا ١٨٨٥ — ١٨٨٦ ، ١٨٨٦ — ١٨٩٢ ، ١٨٩٥ — ١٩٠٢ .

فرديناند Ferdinand of Coburg امير بلغاريا المنتخب (١٨٨٧) .

فرى Ferry, Jules رئيس الوزارة الفرنسية ١٨٨٠ — ١٨٨١ . ١٨٨٣ — ١٨٨٥ . كذلك تولى الخارجية منذ ١٨٨٣ .

فلورين Flourins وزير الخارجية الفرنسية ١٨٨٧ — ١٨٨٨ .

كالنوكى Kalnoky, Gustave وزير خارجية النمسا والمجر (١٨٨١ – ١٨٩٥) .

كرسبى Francesco Crispi رئيس الوزارة الايطالية (يوليو ١٨٨٧ – يناير ١٨٩١) .

كورتى Corti السفير الايطالى فى لندن

لابولاى Laboulay السفير الفرنسى فى بطرسبرج .

لاو Lowe,Cederic James محاضر فى التاريخ الدولى فى جامعة لندن (L.S.E.)

لوملى Lumley السفير البريطانى فى روما .

لوناى Launay السفير الايطالى فى برلين .

ليارد Layars السفير البريطانى فى القسطنطينية .

ليونز Lyons السفير البريطانى فى باريس .

مارشال Marschall وزير خارجية ألمانيا (١٨٩١ – ١٨٩٧)

مالت Malet السفير البريطانى فى برلين .

مانشينى Mancini وزير خارجية ايطاليا (١٨٨١ – ١٨٨٥)

هاتزفلد Hatzfeldt السفير الألمانى فى لندن .

هربت Herbette السفير الفرنسى فى برلين .

هوايت William White السفير البريطانى فى القسطنطينية .

وادنجتون Waddington السفير الفرنسى فى لندن .

مراجع البحث

(أولا) باللغات الأوروبية :

BRUCE, MAURICE, The Shaping of The Modern World. Vol. I. London 1959

CRISPI, FRANCESCO "Politica Estera" (1876—1890).

"Questioni Internationali" Traduction

Fr. de Grandchamp. Tunis 1913.

DOCUMENTS DIPLOMATIQUES FRANÇAIS 1ère. S., T. VI.

ENSOR, R.C.K., England 1870—1914. Oxford 1949.

EUBANK, KEITH, Paul Cambon - Master Diplomatist, Oklahoma, 1960.

GERMAN DIPLOMATIC DOCMENTS, 1871—1914, Vol. II, selected and translated by E.T.S. Dugdale, London 1929.

GREY OF FALLODON, Twenty Five Years, Vol. I. London 1935.

HERZFELD, HANS, Die, Moderne Welt, I. Teil, 1957.

LOWE, C. J., Salisbury and the Mediterranean 1886-1896, London. 1965.

MARDER, A., British Naval Policy 1880-1905, Mass. U.S.A. 1940.

MEDLICOTT, W.N., The Congress of Berlin And After (1878-1880), 1938.

TAYLOR, A. J. P., The Struggle For Mastery In Europe (1948-1914), Oxford 1954.

WILSON, BECKLES, L'Ambassade d'Angleterre A Paris (1814—1920), Paris 1924.

(ثانياً) باللغة العربية :

حسن صبحى : التنافس الاستعمارى الأوروبى فى المغرب (١٨٨٤ — ١٩٠٤) دار المعارف ، الاسكندرية ١٩٦٥ .

محمد مصطفى صفوت : الاحتلال الانجليزى لمصر وموقف الدول الكبرى ازاءه . القاهرة ١٩٥٢ .

محمد مصطفى صفوت : انجلترا وقناة السويس (١٩٥٤ — ١٩٥٦) .